أثر فواصل سورة "ق" في شكل الشعر العراقي المعاصر ومضمونه

(مؤكدا على قصائد الروّاد الكلاسيكيين والشعر الحر)

طالبة الدكتوراه جنت نصري

الأستاذ الدكتور علي نظري (الكاتب المسئول)

Nazari.a@lu.ac.ir

الأستاذ المشارك الدكتور سيد محمود ميرزايي الحسيني

الجمهورية الإسلامية الايرانية

جامعة لورستان ـ قسم اللغة العربية وآدابها

The Influence of Intervals of Surah "Qaf" on Form and Content Of Iraqi Contemporary Poetry

(With Emphasis on Classical And Modernist Pioneer Poets)

Jannat Nasri

PHD. in Arabic Language and Literature Student

Ali Nazari

Professor, Lorestan University (corespnding author)

Sayyed Mahmood Mirzai Alhoseyn

Associate professor, Lorestan University

الملخص:

يدرس البحث الحاضر أثر فواصل سورة "ق" في شكل الشعر العراقي المعاصر ومضمونه، ويركّز على شعر الروّاد الكلاسيكيين: ((معروف الرصافي)) و((محمد مهدي الجواهري)) وشعراء الشعر الحر: ((بدر شاكر السياب)) و((نازك الملائكة)) و((عبد الوهاب البياتي))، ويسعى للإجابة على أنّه: ما هو تأثير سورة "ق" على شعر ومضمون هؤلاء الشعراء المعنيين؟ وأنّ لِمَ، وكيف إستفاد هؤلاء الشعراء من هذه السورة؟ كما أنه يعتمد على المنهج الوصفي – التحليلي، ويظهر أن لسورة "ق" ومضامينها، تناسب وتناغم كبير مع أهداف الشعراء المذكورين، حيث كان شعراء العراق المعاصرون يعيشون حالة سعي وانتظار مستمرة لثورة العراق والعالم العربي وإنبعاثهما، ويرون الموسيقى الشديدة القوية لهذه السورة وأصواتها الرنّانة ورنّاتها المرعبة التي تصوّر معاد الإنسان ونهاية اضطهاد الظالمين وإحسان المحسنين، يرونها مناسبة لتصوير الجو المؤلم للعالَم المعاصر وأحداثه ومصائبه المرّة وحرمان الشعب العراقي من حقوقه الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: شعر العراق المعاصر، سورة "ق"، الموسيقى، الفواصل والقوافي.

Abstract:-

This study investigates the influence of intervals of surah Qaf on form and content of Iraqi contemporary poetry -Malaika and Abd al-Wahhab Al-Bayati. The aim is to answer 'how does the with an emphasis on classical pioneer poets such as Maruf al Rusafi and Muhammad Mahdi al-Jawahiri and modernist poets, Badr Shakir al-Sayyab, Nazik Al surah Qaf influence the form and content of poetry of the mentioned poets?' and 'for what reason did the mentioned poets used this surah?'. This study is based on a descriptive-analytical method suggesting that the surah Qaf and its contents correspond significantly with the poets' purposes. Since contemporary Iraqi poets always await revolution in Iraq and the Arab world, they find the fast rhythm of its music and its strong tone depicts the return and resurrection of human beings, demonstrating the consequences of cruelty of the oppressors and the outcome of the benefactors' goodness. This is appropriate to illustrate the grievous atmosphere, the tragic events of the contemporary world, and the deprivations of Iraqi people who are deprived of their human right

Keywords: Poetry of contemporary Iraq, Surat "k", music, commas and rhymes.

المقدمة:

إرتوت الإنجازات الأدبية مثل الشعر والنثر والخطابة في تاريخ الأدب العربي من منهل القرآن الكريم، واستخدمت مضامينه وأساليبه بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم، ونحن نرى هذا التأثير جليّاً في الأدب المعاصر. وهذا التأثير الذي كان قد سمي بالإقتباس أو التضمين وقد عرف بالتناص في الآونة الأخيرة، كان له الأثر الواضح والبصمة الجلية في مجال الألفاظ والمفاهيم والأسلوب والموسيقى الشعرية. وكذلك كان لأسلوب الفواصل القرآنية أثراً تناصياً كبيراً في قوافي وموسيقى الشعر المعاصر الكلاسيكي والحر، وإن كان على كثرته ووسعة نطاقه، مهمولاً من قبل الباحثين المحدثين. وإننا نرى هذا التأثير القرآني، من أروع ما تأثّر به الشعراء العراقيون وشعرهم، وهو يحمل في طيّاته مفاهيم هامةً قيّمة على صعيد ظروف العراق الراهنة وأوضاعه. ولعلّنا نتمكن من دراسة نشأة ظروف الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ونتائجها في العراق، من خلال دراسة هذا النوع من الاقتباس القرآني في شعر الشعراء المعاصرين، وهذا ما يزيد الموضوع أهمية.

خلفية البحث:

وقد أجريت بحوث متعددة في مجال تأثير الشعر العراقي المعاصر من القرآن الكريم، لكنما لم يُقَدَّم بحثٌ في مجال الموسيقى القرآنية في الشعر العراقي المعاصر سوى تلك الدراسة التي قَدّمها مراديان والآخرون (١٣٩١ش) والتي تتسم بعنوانها الفارسي: "تاثير موسيقايي فواصل قرآن بر ساختار قوافي اشعار جواهري" (أثر موسيقى الفواصل القرآنية على بنية قوافي أشعار الجواهري) والتي درسوا فيها أثر الفواصل القرآنية على أشعار الجواهري. ولم تُقَدّم دراسةٌ في المجال الذي نسعى دراسته وهو: "أثر فواصل سورة "ق" في شكل الشعر العراقي المعاصر ومضمونه". وأما الدراسات السابقة في الموضوع العام لهذا المجال فهي كالتالي:

- الدراسة التي قدمها سليمي وطهماسبي (١٣٩١ش) وعنوانها: ((التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر: دراسة و نقد)) والتي درسا فيها التناص القرآني في شعر شعراء العراق المعاصرين وركّزا فيها على الإجترار والإمتصاص والحوار.
- الأطروحة التي قدمها نجفي ايوكي (١٣٩١ش) وعنوانها: ((حضور قرآن در شعر معاصر

عراق: با تكيه براشعار بدر شاكر سياب، عبدالوهاب بياتي، نازك الملائكة واحمد مطر)) (حضور القرآن في الشعر العراقي المعاصر: بالتركيز على أشعار بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة وأحمد مطر)، والتي تناول فيها التناص اللفظي وتناص المضمون وتناص الشخصيات القرآنية في أشعار هؤلاء الشعراء.

- البحث الذي قدّمه عربي ومختاري وعنوانه: ((بينامتني قرآن در شعر سيّاب)) (التناص القرآني في شعر السياب)، والذي تناولا فيه التناص اللفظي وتناص المضمون والأسلوب في شعر السيّاب.

فرضيات البحث:

وفي نظرة عابرة إلى الشعر العراقي المعاصر في مجاليه الكلاسيكي والحر، نرى أثراً كبيراً لأسلوب وموسيقى الفواصل القرآنية لسورة "ق" والسور القرآنية الأخرى مثل: "القيامة والحاقة ومريم والقمر والناس" كما أننا نرى لسورة "ق" أثراً جليّاً على المفاهيم والموسيقى الشعرية لشعراء مثل: الرصافي والجواهري والسيّاب ونازك الملائكة والشعراء اللآخرين من روّاد الشعر العراقي المعاصر. ولهذا كانت فرضيّاتنا كالتالي:

- أثّرت موسيقى الفواصل القرآنية وبُنية تلك الفواصل في آيات سورة "ق"، على موسيقى ومفاهيم أشعار شعراء العراق المعاصرين ومنهم: الرصافي والجواهري والسيّاب ونازك الملائكة والبياتي.
- استخدم شعراء العراق المعاصرون بشكل هادف موسيقى هذه السورة القرآنية لتصوير الجو المؤلم والأحداث المأساوية ومصائب العالم المعاصر ومحنه وحرمان الشعب العراقي من حقوقه الإنسانية.

منهجية البحث:

نسعى في هذا البحث أن ندرس بالمنهج الوصفي - التحليلي، تأثير هذه السورة القرآنية في مجال البنية والموسيقى والمفهوم في الشعر الكلاسيكي والحر، ومن هذا المنطلق سنسلط الضوء فيه على أشعار "معروف الرصافي" و"محمد مهدي الجواهري" من الكلاسيكين و"بدر شاكر السيّاب" و"نازك الملائكة" و"عبد الوهاب البياتي" من روّاد الشعر الحر. وقبل ذلك من

الضروري أن نمرَّ مرور الكرام بمبحث الفاصلة القرآنية وفي سورة "ق" والموسيقى والقافية في الشعر.

١- انعكاس موسيقى الفواصل القرآنية لآيات سورة "ق" في موسيقى ومفهوم الشعر العراقي المعاصر.

يعتمد قسم كبير من نجاح كل شعر بصفته ظاهرة عالمية، وفي نفس الوقت ظاهرة وطنية وشعبية، على مقدار استخدام الموسيقى فيه، وإضافةً على الأسس العروضية ومقاييسها، تتغير مصادره حسب مستوى حرّيته. وموسيقى القرآن الكريم، هي أحد مصادر الشعر العربي ومناهله.

١-١. موسيقى الآيات القرآنية وفواصلها:

إنّ في القران ايقاعا موسيقيا متعدد الانواع يتناسق مع الجو و يؤدي وظيفة أساسية في البيان و لما كانت هذه الموسيقي القرآنية إشاعا للنظم الخاص في كل الموضع، و تايعه لقصر الفواصل و طولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة و لانسجام الالفاظ في الفاصلة الواحدة (سيد قطب: بي تا: ٢٠٢)

الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع(الزركشي،١٩٨٠، ج١: ٥٣)

والفاصلة القرآنية عنصر اساسي من عناصر اللغة الايقاعية فتأتي في خاتمة الآيات حاملة المعني و تمام التوافق الصوتي في آن واحد(عبد المتجلي، ١٤١٠: ٢١٣).

فالفاصلة القرآنية حين ترد تأتي لنشر جو من الموسيقي، محملا بالمعني الذي يكمل مضمون الآية التي ختمت بها، و تبقي جزءا اصيلا فيها، وإن كانت عنصرا متميزا يلحظه المتأمل في الآية، فالفاصلة القرآنية ترد في النص القرآني وهي تحمل شحنتين من الواقع الموسيقي وشحنة من المعني المتمم الآية (شيخ أمين،١٩٨٠: ٢٠٣).

١-٢. القوافي هي الموسيقى الشعرية:

القافية الكلمة، الاخيرة من كل بيت شريطة أن لا تكون الكلمة متكررة بعينها والا فهي رديف وما قبلها القافية (رازي،١٣٧٣: ٢٠٢)

القافية في المقاطع الصوتية في آخر كل بيت من ابياتها وظيفتها ايقاعية ولها وظائف الأخرى كا الإعلام علي نهايت البيت. والقافية نهاية الموسيقي في سطر الشعري هي انسب نهاية لهذا السطر من الناحية الايقاعي(عزالدين،٢٠١٣: ٦٧)

لا تقتصر موسيقى الشعر وقوافيه على القوالب العروضية والبحور الشعرية فقط، بل هناك موسيقى رائعة في نوع الصلة بين الكلمات والإيقاعات الشعرية التي لم تكن أقل قيمة من موسيقى الأوزان الشعرية، والقافية هي جزءٌ ضئيل من موسيقى الشعر. يقول شوقي ضيف: "إن القافية هي ذكرى عزف الآلات الموسيقية في السمع وتَذَكّرٌ للتصفيق والطبول والدفوف" (شفيعي كدكني، ١٣٧٠: ٥١ – ٥٣).

وقال الدكتور ابراهيم انيس: "ليست قافية الا عدد اصوات تتكرر في أواخر الاشطر، أو أبيات من القصيدة و تكررها هذا يكون جزء هاما ما الموسيقي الشعرية؛ فهي بمثابة الفواصل الموسيقية؛ يتوقع السامع ترددها ويستمتع بهذا التردد الذي يطرق الاذان في فترات زمينية منتظمة" (انيس،١٩٧٢،ج١: ٢٤٦)

٣ – ١. سورة "ق":

سورة "ق" هي من الروائع القرآنية وإحدى سوره الخلاّبة، والموسيقى الشديدة القوية لهذه السورة وأصواتها الرنّانة، ورنّاتها المرعبة التي تصوّر معاد الإنسان وأحداث ما بعد القيامة ونهاية إضطهاد الظالمين وإحسان المحسنين، جعلت شعراء العراق المعاصرون ان يروها مناسبة لتصوير الجو المؤلم للعالَم المعاصر وأحداثه ومصائبه المرّة، وحرمان الشعب العراقي من حقوقه الإنسانية. ويعود جزء من موسيقى هذه السورة لفواصلها وقد تكرّرت فواصلها واحدة تلو الأخرى بإستمرار، ما عدا فاصلة واحدة التي تصدّاها لفظ "لوط"، وهي على الترتيب التالي: ((المجيد، عجيب، بعيد، حفيظ مريج، فروج، بهيج، منيب، حصيد، نضيد، خروج، ثمود، لوط، وعيد، جديد، وريد، قعيد، عتيد، شهيد، حديد، مريب، شديد، بعيد، عبيد، مزيد، الخلود، محيص، لغوب، الغروب، السجود، الخروج، قريب، المصير، يسير)).

ونرى في هذه السورة أن الموسيقى القوية والأصوات والرنّات الشديدة فيها، وإنهاء فواصلها بحروف مثل: الدال والراء والجيم، تتلائم بحد كبير مع جوّها الشديد المرعب. وقد

صوّر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة مفاهيم الآخرة والإنبعاث ويوم القيامة والجنة والنار ونهاية عودة البشر، في جوٍّ مليء بالرهبة والرجاء. وتتحدث هذه السورة عن هجرة مخيفة مرعبة تملأ القلب خوفاً وحزنا.

ونشاهد الإنذارات ونسمع أجراسها، ونرى المشاهد المرعبة تارة والمؤمّلة تارة أخرى من بداية السورة حتى نهايتها. كما أنّ إستياء ومحنة الذين ولّوا الأدبار عن الحق هو من أبرز صور هذه السورة؛ لأن من يدبر عن الحق يستاء ويتكدّر وتستاء شؤونه تضطرب ظروفه الخاصة. وكذلك مشهد إلقاء الكافرين في جهنم في هذه السورة هو من مشاهدها الأكثر إيلاما.

إنها سورة رهيبة شديدة الوقع بحقائقها، شديده الايقاع ببنائها التعبيري، صورها و ظلالها و جرس فواصلها. تأخذ علي النفس آقطارها و تلاحقها في خطراتها و حركاتها و تتعقبها في سرها و جهرها و في باطنها و ظاهرها تتعقبها برقابة الله، لا تدعها لحظة واحدة من المولد إلي الممات، إلي البعث، الي الحشر، الي الحساب(سيد قطب،٢٠٠٣:الجزء السادس: ٣٣٥٥)

٤ – ١. دور موسيقى فواصل سورة "ق" في الشعر العراقي المعاصر

تأثّر كثير من الأدباء العرب بالألفاظ والمعاني والألحان الموسيقائية والأسلوب القرآني. وقد كان هذا الأمر بارزاً في الشعر العربي المعاصر، حيث زاد أشعار هؤلاء الشعراء المتأثرين بهجة وجمالاً. والشعر العراقي المعاصر أيضاً قد أخذ نصيباً وافراً من هذه الجماليّات القرآنية، وقد نرى فيه التناصات والإقتباسات الهادفة الرائعة. وقد حدث قسم كبير من هذا التأثير القرآني في الشعر العراقي المعاصر، في البنية الموسيقائية. وإنّ سورة "ق" وبنية فواصلها، هي من النماذج البارزة لهذا التأثير. كما أنّها كانت أكثر تأثيراً على الموسيقى الشعرية وبنيتها، وإن كان لها نصيبٌ غير قليل في مجال المفاهيم.

وأما موسيقى الفواصل القرآنية في هذه السورة، قد أثّرت على البنية الموسيقائية لقوافي أشعار شعراء العراق المعاصرين مثل: معروف الرصافي ومحمد مهدي الجواهري وبدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي، و دراسة هذا التأثير الإحصائية في دواوين هؤلاء الشعراء هي كالتالي:

معروف الرصافي	٩ قصائد
محمد مهدي الجواهري	٦ قصائد
بدر شاكر السياب	٢٠ أنشودة
نازك الملائكة	٢١ أنشودة
عبدالوهاب البياتي	٣٨ أنشودة

٢- تحليل ودراسة الشواهد البارزة للشعراء المنتخبين:

ذكرنا آنفاً أن روّاد الشعر العراقي المعاصر مثل: معروف الرصافي ومحمد مهدي الجواهري وبدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي تأثروا بموسيقى سورة "ق" ومفاهيمها وسندرس هنا بعض الشواهد البارزة لهؤلاء الشعراء ونحلّلها.

٢-١. الرصافي:

معروف الرصافي، هو رائد من روّاد الشعر الكلاسيكي العراقي وقد استخدم موسيقى الفواصل القرآنية في سورة "ق" في بعض قصائده مثل: قصيدة "في سبيل الوطنية" (الرصافي، ٢٠١١: ١٣٢)، و"المدرسة الحربية" (نفسه: ٦٤١)، و"أيقاظ ورقود" (نفسه: ١٧٥)، و"الكرخي ومن كذب في منعاه" (٩٢٣)، "إلي امين نخلة" (نفسه: ٥٠٥)، و"إلي صاحبة الحياة الجديدة في بيروت" (نفسه: ٢٢٥)، و"كيف نحن العراق" (همان: ٦٦٥)، و"نحن والماضي" (نفسه:٦١)، وإستفاد منها لتصوير الأزمات والقضايا السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية في عصره ومجتمعه.

- **الشاهد الأول "المدرسة الحربية":**

قصيدة "المدرسة الحربية"، من الشواهد البارزة للرصافي، والتي نرى فيها تأثير شاعرها بموسيقى سورة "ق" حتى بنظرة عابرة عليها. وقد صرّح الشاعر فيها من أجل تشجيع الناس على التقدّم العلمي وعلى مواكبتهم مع الركب العلمي الغربي، أنّ الحرب الحديثة تختلف تمام الإختلاف مع الحرب القديمة بالأمس والتي كانت بالسيف والرماح، والحرب الحديثة اليوم هي الحرب العلمية. وكذلك يرى الشاعر فيها أن أذلّ الحياة وأرذلها هي الحياة التي لا تُراعى فيها الحقوق بسبب الظلم والطغيان.

أيهـــا القـــوم نحـــن في عصـــر علـــم جعـــل الحـــرب في طـــراز جديـــد

إن للعلـــم في الحـــروب لـــبني العصـــر ... لبأســـا يفـــوق بـــأس الحديـــد

أيهـــا القـــوم فـــادخلوا العهـــد الحـــربي ... طوعـــا وانضـــوا ثيـــاب الجمـــود

واستعـــدوا لـــرد كـــل عـــدوّ ... انكـــر الحـــق ناقضـــا للعهـــود

واذل الحيـــاة عنـــدي حيـــاة ... قـــد اهينـــت حقوقهـــا بجحـــود

(الرصافي: ٦٤١)

وفي قوافي هذه القصيدة وهي "نشيد، الحميد، جديد، نشيد، الجديد، الحديد، الشديد، التليد، مديد"، على وزن "فعيل"، و((بوعود، الجمود، عهود، الحدود، البنود، بجنود"، على وزن "فعول"، نرى تأثير شاعرها واضحاً جليا.

كذلك تحدّث كلا النصَّين عن تحقيق الحق والدفاع عنه والجهاد في سبيله. وجملة: "فادخلوا العهد الحربي" للشاعر، هي ذكرى من آية: ﴿ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ (الحجر: ٤٦) في وصف أهل الجنة. وفي هذه القصيدة نرى الإنذارات ونسمع أجراسها كما في السورة، ونشاهد فيها المشاهد التي تمثلها السورة، وكما أن الشاعر تواكب مع مفاهيم السورة إلى حدٍّ كبير.

الشاهد الثاني "في سبيل الوطنية":

هذه القصيدة هي التي أنشدها معروف الرصافي بطلب من "فخري البارودي" بمناسبة إنشاء مصنع الحياكة في دمشق، والتي يدعو فيها الشاعر شعبه للإقدام والإهتمام، ويشجّع الناس على السعي والإجتهاد في سبيل الإعمار والتقدّم، وتطوير ودعم الإنتاج المحلي.

ويصرخ الشاعر من الوضع المؤسف للشرقيّين الذين ساد عليهم النوم والفقر والجهل، ويصوّر تخلّفهم العلمي والتكنولوجي بالنسبة للغرب، ويتحدّث عن تقدّم الغرب الذي يقدّم كل يومٍ إنجازاً جديداً للعالم، وعلى الشرق أن يعطي للغرب رأس ماله القيّم وهو النفط، لإستيراد هذه الإنجازات. والشرق معتمدٌ إعتماداً كاملاً على الغرب حتى في تفكيره. وإستيراد السلع الغربية، يمتص دماء الشرقيين، ويستعبدهم وينحّيهم عن طريق الإستقلال (حيدري، ١٣٩٥ش: ١٣٧).

نفـــع البـــلاد بمالـــه وبسعيـــه ... بحســـن رأي في الامـــور سديـــد

الغـــرب يكســـوهم ملابـــس هـــم بهـــا ... يعـــرون مـــن مـــال لهـــم ونقـــود

وتـــــراه يسلخهـــم بمصنـوعاتـــــه ... سلـــخ الشيـــاه فهـــم بغيـــر جلـــود

هـــذي ســـفائنهم تـــروح وتغتـــدي ... ببضـــائع لـــم تحـــص بالتعديـــد

يـــا ســـادةُ الأوطـــان لستـــم ســـادةً ... مـــا عشتـــم مـــن فقركـــم كعبيـــد

كـــم تزرعـــون بأرضكـــم ولغيركـــم ... ممـــا زرعتـــم حـــب كـــل حصيـــد

فتبصـــروا يـــا قـــوم فـــي أحوالكـــم ... وتنبهـــوا مـــن غفلـــة ورقـــود

(الرصافي:١٣٢)

وبينما يحدق الشاعر في تقدم الغرب العلمي، دائماً يحاول إيقاظ الشعب الشرقي من غفلته، ويذكر أنه يجب عليهم التخلّي عن هذا الإعتماد. ويتساءل في مقطع منها أما ترون بلدكم مقيّد بأغلال الغرب، والغرب يكسوهم الملابس مقابل خلعهم من كل شيء، ويسلخهم سلخ الشياه ببيع بضائعه عليهم، البضائع التي لا تحصى ولا تعد في سفائنهم التي لا تتوقف وهي في حالة ذهاب وإياب مستمرة:

وتـــــراه يســـــلخهم بمصنوعاتـــــه ... سلـــخ الشـــياه فهـــم بغيـــر جلـــود

هـــذي ســـفائنهم تـــروي وتغتـــدي ... ببضائـــع لـــم تحـــص بالتعديـــد

(السابق)

ويعتقد الشاعر في هذه القصيدة بوجوب تقدّم الإستقلال الإقتصادي على الإستقلال السياسي:

لا يستقـــل بســـيفه الشـــعب الـــذي ... لا يستقـــــل بنقـــــده النقـــــود

(السابق:١٣٣)

وفي كلا النصّين يبدأ الحديث عن أشياء جديدة يُذكّر المخاطبين ويحثّهم بها ليهديهم ويسوقهم إلى الهدف الأصلي، كما تحدّث الخالق في السورة عن رفع غطاء الغفلة عن عيون الظالمين عندما يسوقهم إلى جهنم: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢)، وكذلك يطلب الشاعر من شعبه أن يستيقضوا من غفلتهم:

فتبصـــروا يـــا قـــوم في احـــوالكم ... وتنبـــهوا مـــن غفلـــة ورقـــود

ونرى أن لفظة "ملابس" في هذا المقطع من قصيدة الشاعر:

الغرب يكسوهم ملابس هم بها يعرون من مال لهم ونقود، متناغمةً مع لفظة "لبس"

في السورة حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: ١٥).

وفي كلا النصين، الحديث هو عن لباس جديد. كما أن عبارة: "حب الحصيد" التي جاء بها الشاعر:

كم تزرعون بأرضكم و لغيركم ... مما زرعتم حب كل حصيد

ليصوّر بها وضع المزارعين وحقوقهم، تؤكّد تأثيره من السورة إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (ق: ٩).

كما أن إتيان قوافي هذه القصيدة على وزني "فعول" و"فعيل" مثل: ((جديد، تليد، سديد، حميد، تقليد، بعيد، عبيد، حصيد)) و((وجود، برود، نقود، جلود، قيود)) هو مما يثبت تأثير الشاعر من فواصل سورة "ق" القرآنية.

٢-٢. الجواهري:

محمد مهدي الجواهري أيضاً من شعراء العراق المعاصرين الذين تأثروا بموسيقى فواصل السُوَر القرآنية وألحانها، ونرى ظلال هذا التأثير من سُور قرآنية مختلفة مثل: "ق، ومريم والناس والقيامة والواقعة والقمر والمدثر ونبأ" على بعض قصائده بشكل واضح مشهود في نظام قوافيها وأوزانها وألحانها، كما أننا نرى هذا التأثير في تناغم الحروف وتكرارها المتناغم (راجع. مراديان والآخرين: ١٣٩١ش). وكذلك لسورة "ق"، الأثر الواضح والهادف على أشعار الجواهري في مجالي المضمون والموسيقى. وإستفاد الشاعر من مفاهيم هذه السورة وتحدّث عن عاقبة ظلم الطغاة الكافرين، وتاريخ الشعوب والأمم وعاقبتها وتطور العالم ومظاهر الخلقة والموت، وحتى بعض الأحيان نراه متعجباً من انكار إنبعاث شعب ثائر، كما هو في السورة القرآنية.

ونرى تأثير ألحان وموسيقى فواصل هذه السورة واضحاً في ألحان وأوزان قوافي بعض قصائد الشاعر مثل: "نشيد العودة" (الديوان، ج٣: ٧١)، و"عدنا وقوداً" (نفسه:٢١٣)، و"عيد العمال" (ج٥: ١٧)، و"أنتم فكرتي" (نفسه: ٧١) و"عيد نيسان" (ج٦: ٧٧)، وجزء من قصيدة "عالم الغد" (ج٧: ٩٣).

الشاهد الأول "في عيد العمال":

هذه القصيدة هي من أبرز قصائد الشاعر في هذا المجال. أنشدها الشاعر بمناسبة يوم العمال العالمي في مؤتمر الإتحاد العمالي الذي أقيم في العراق عام ١٩٦٠ م، ومدح فيها طبقة العمّال الكادحة والمؤثرة في المجتمع، ومجّدهم وحثّهم فيها للقيام والنهضة أمام النظام الرأسمالي والجهاد والعودة إلى عصر المجد والإنتصار (راجع، بهاء الدين، ٢٠١١: ٤٠٧-٤١١).

لكم نبتدي.. واليكم نعود ... ومن سيب أفضالكم نستزيد...
فميلوا له إنه.. منكم ... قريب.. وما فجر ليل بعيد...
مطارقكم هنّ جرس الزمان ... يدق فيسمع حتى الحديد...
ومن بينكم سيمدّ الكفا ... ح جيل عنيد، شديد مريد..
وكيف علي كسرات الرغيف ... يعفر في كلَ يوم شديد...
كأنَ رؤوس السعالي بها ... هام الشياطين طلعٌ نضيد...

(الديوان: ج٥: ١٩-٢٠)

نظم الشاعر وزن قوافي هذه القصيدة وألحانها على أسلوب الفواصل القرآنية في سورة "ق" وموسيقاها، كما نراه في ألفاظ قوافي أبياتها مثل: "بعيد وحديد وعبيد ونضيد وجديد ومزيد ووريد" وجاءت بعضها مثل: "دود وسود وعود" على وزن لفظ "لوط" في السورة، وكذلك عبارات مثل: "طلع نضيد" و"خير مزيد" وليل بعيد " و"يوم شديد" في القصيدة، تأكّد هذا التأثير الإقتباسي. ويرى الشاعر أن الظلم والإضطهاد، سينتهيان إلى الفناء، ويبشّر قشر العمّال ومحرومي المجتمع بالحياة السعيدة، كما أن المضامين التي يعبر عنها الشاعر في هذه القصيدة تتناغم إلى حد كبير مع مضامين السورة القرآنية ومفاهيمها (راجع مراديان وآخرون، ١٣٩١: ٢٧٨).

الشاهد الثاني:

عالم الغد إن ((سوق)) العبيد ... نزلوا عند حكم ((لون الجلود))
وابتداعات ((سيد ومسود)) ... ومآسي حواجز وسدود
وصياح ((النخاس)): هل من مزيد؟ ... في تماثيل اوثقت بالقيود

غـــــارقات آذانهـــــا في الصديـــــد منيـــــت فـــــي قيامهـــــا والقعـــــود

بـعتـــــلّ فـــــظّ عنيـــــد مريـــــد صارخـــــات بلونهـــــا المكمـــــود

(الديوان،ج٧: ١٩٣)

بنظرة عابرة على ابيات هذه المقطوعة نجد الحضور الواضح للألفاظ القرآنية وتجلّى ألحان وموسيقى الفواصل القرآنية لسورة "ق"، ولاسيما ألفاظ مثل: "عبيد ومزيد وعنيد"، يؤكد تأثير التناص القرآني فيها. وكذلك إقتباس الشاعر من الآية القرآنية: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ يؤيّد صدق ما ندّعيه.

وعندما يتحدّث الشاعر عن حقوق العبيد، ويعلن بأن هؤلاء مكبّلون ومقيّدون بالأغلال، ويصرخون من شدة الظلم والإضطهاد: "هل من مزيد"، ليَتَكنّون بهذا العبارة عن كثرة هذا الظلم وشدته ويقولون ألا يكفي هذا المقدار من الظلم؟:

وصـياح ((النخـاس)): هـل مـن مزيـد؟ فـــي تماثيـــل أوثقـــت بالقيـــود

وجدير بالذكر أن هذه الآية القرآنية لها أثر كبير في أشعار الجواهري، وقد إستخدمها الشاعر كل مرة من منظار جديد كما نراه في الأبيات التالية:

لـــي فـــؤاد منكـــم إن سعّـــرا بلـظى الشـوق تقـل: هـل مـن مزيـد؟

(الديوان:ج١٧٦:١)

كلظـــى كلّمـــا حمـــت بوقـــود استطـــارت تقـــول هـــل مـــن مزيـــد؟

(نفسه،ج٧٤:٥)

وصـياح ((النخـاس)) هـل مـن مزيـد؟ فـــي تماثيـــل أوثقـــت بـالقيـــود

(نفسه،ج١٩٣:٧)

تعاليـت باريـس هـل مـن مـزيد؟ علـى مالديـك وهـل مـن جديـد؟

(نفسه، ج٣٤٧:٣)

٣ – ٢. بدر شاكر السيّاب

وأما بين روّاد الشعر الحر العراقي، فقد نجد لسورة "ق" أثراً كبيراً في شعر بدر شاكر

السياب، كما نرى تأثير موسيقى فواصلها في بعض قوافي قصائده مثل: "ليالي الخريف" (السياب، ١٩٨٧: ٥٠)، و"في القرية الظلماء" (نفسه: ٦٦)، و"ذكرى لقاء" (نفسه: ٦٠)، و"الشاعر الرجيم" (نفسه: ١١١)، و"ابن الشهيد" (نفسه: ١١٤)، و"أنشودة المطر" (نفسه: ١٢٤)، و"ربيع الجزائر" (نفسه: ١٣٣)، و"سفر أيوب" (نفسه: ١٣٩)، و"إلى العراق الثائر" (نفسه: ١٧٢)، و"مرحى غيلان" (نفسه: ١٧٨)، و"عرس في القرية" (نفسه: ١٨٧)، و"من روايا فوكا" (نفسه: ١٩٣)، و"قافلة الضياع" (نفسه: ٢٠٤)، و"مدينة السندباد" (نفسه: ٢٥٥)، و"بور سعيد" (نفسه: ٢٧٤)، و"المومس العمياء" (نفسه: ٢٨٥)، و"حفار القبور" (نفسه: ٣٠١)، و"أسلحة الأطفال" (نفسه: ٣١٣)، و"فجر الإسلام" (نفسه:٤٤٠).

تجدر الإشارة إلى أن الشاعر إستفاد من موسيقى الفواصل القرآنية لسور مثل: القارعة والحاقة في بعض قصائده الشعرية، إلى جانب الفواصل القرآنية لسورة "ق"، استفادة متناغمة زادت الموسيقى الشعرية لقصائده ورنّاتها النارية الحادة، في تصوير المواضع الثورية وأزمات عصره الشديدة، ولاسيما في ما يتعلق بوطنه العراق، زادتها بهاءاً وجمالاً. والشاعر تارةً يظهر غضبه وإنزعاجه من أوضاع عصره السيئة من خلال الموسيقى القرآنية، ووتارة ينتظر إنبعاث شعبه والشعوب المظلومة الأخرى بإستخدام مفاهيم السورة. ويشير إلى عاقبة الأغنياء والفقراء، والظالمين والمظلومين، المستعمِرين والمستعمَرين، وحيناً يذكر ظلم الظالمين من خلال هذه الموسيقى ويبوح بتوبيخ هؤلاء الظالمين وشماتتهم وتحذيرهم وتارة يتوعدهم. ويقيم القيامة بهذه الموسيقى حيناً، وينتظر ثورة وطنه وربيعه حيناً آخر، ليهدأ من جديد في جنان وطنه ونخيله ويتنعّم بنعيمهما. وقواف مثل "من جديد" و"من بعيد"، تبدو أكثر استخداماً في أشعار الشاعر، وكأنما الشاعر يرى كل شيء بعيد في زمانه ولو أنه لا يزال يأمل لوطنه الحياة الجديدة والمستقبل المزدهر خلف كواليس اليأس الذي يطغى عليه بين حين وآخر.

الشاهد الأول "الأسلحة والأطفال":

هذه الأنشودة هي من شواهد السيّاب البارزة التي إستفاد فيها من الفواصل القرآنية لسورة "الحاقة" اضافة على الفواصل القرآنية في سورة "ق"، وإستخدمها لتصوير أزمة الحرب والفقر والجوع الذي إبتلى بها شعبه. ويقدم الشاعر من خلال موسيقى هذين

السورتين، مأساة رائعةً من وضعه الراهن. ومن البداية التي يبدأها بموسيقي سورة "الحاقة"، وحتى نهايتها التي تنتهي بموسيقي فواصل سورة "ق"، يشرح براءة الأطفال، ويشير إلى إستخدام الممارسات العنيفة للأعداء وتجار السلاح على الناس، ويبيّن معاناة الشعب والظلم وإستغلال الأطفال وقتلهم. ويتحدّث الشاعر في هذه القصيدة عن حق السلام، ويعتبر فيها الأمن والسلام حقاً حيوياً للأطفال، وكذلك يعكس عنوان القصيدة، الوضع المأساوي الذي تم تصويره في مستقبل الأطفال العراقيين. ويظهر أن لعبة الأسلحة هي رمز للعنف والموت، وقصة المدفع والبندقية، أصبحت هي القصة الطفولية لأطفال العراق.

كما أنّ ألفاظ مثل: " العارية وساقية والعافية والحافية والهادية والداجية وآسية والآتية والماضية والصافية والدامية وبالية والطاغية" في أنشودة الشاعر، تدل على الموسيقى القرآنية في سورة "الحاقة"، وألفاظ مثل: "الوليد وبعيد وجديد وحديد ووريد وعبيد و بريد وعتيق"، تدل على الموسيقى القرآنية في سورة "ق".

وهذه هي أجزاء من القصيدة:

- عصافيرَ تشدو على رابية/ ترامى إلى الصبيةِ الأبرياء/ نداءٌ تنشّقتُ فيه الدماء/ حديدٌ عتيق رصا..ص..حديد/ حديدٌ عتيق لموتٍ جديد/ حد..يدٌ من كلُّ هذا الحديد؟ / من كلُّ هذا االرصاص؟/ لأطفالِ كوريّةَ البائسين؟/ وعمّالِ مرسيلياَ الجائعين؟/ وأبناءِ بغدادَ والآخرين؟

...إذا ما أرادوا الخلاص/ حديدٌ، رصاص، رصاص، رصاص، حديد

(نفسه:٣١٩).

- حديدٌ، رصا..ص" لأنَّ الطغاة / يريدونَ ألا تتمَّ الحياة/ مداها، وألا يحسَّ العبيد؟/ بأنَّ الرغيفَ الذي يأكلون/ أمرٌ منَ العلقمِ/ وأنَّ الشرابَ الذي يشربون؟ أجاج بطعم الدم / وأنّ الحياة الحياة انعتاق

(نفسه: ٣٢٦).

- وأقدامها العارية / مصابيحُ ملءَ الدُّجى تلمح/ هتكنا بها مَكمنَ الطاغيةْ/ وظلماءَ أوجاره الباليةْ/ علينا لها: إنها الباقيةْ/ إلي عالم كل ما فيه نور/ رصاصٌ،

رصاصٌ، رصاصٌ، حديدٌ، حديدٌ...عتيق/ لكونٍ جديد

(نفسه: ٣٣١).

يشكو ويصرخ الشاعر في المقطع الأول من الجوع والبؤس والفقر الذي إبتلى به أطفال العالم الحديث ووطنه العراق. ولفظ العصافير هو رمز الأطفال الأبرياء في عالم الشاعر، الأطفال الذين تكدّر عالم طفولتهم الجميل بالجوع والقتل واللا أمان. كما أن عبارة: "حديد من كل هذا الحديد" في هذا المقطع، والتي تتكرر في المقاطع الأخرى، هي رمز سيطرة الظلم والفقر والجوع والقتل والطغيان، اللآئي أتحفت بها دولُ الإستعمار الأطفالَ والشعوب المستعمرة في العصر الحاضر.

ويعبّر الشاعر مرارة الحياة والبؤس والمعاناة والظلم الذي أتى به المعتدون للشعب في الجزء الثاني من المقطع ويصورها بصور مؤلمة، كما نراه في أسلوب سورة "ق" القرآني الذي يصور به الله سبحانه وتعالى المشاهد المؤلمة لأهل جهنم وسوء عاقبتهم. كما أن الشاعر في بداية قصيدته يعبر عن سرور عالم الأطفال ولعبهم في حقول وطنه الخصبة، وفرحة أمهاتهم أثناء الولادة في إطار صور رائعة، كما يعبر الله سبحانه وتعالى عن عاقبة المؤمنين في الجنة وحياتهم السعيدة، ويصورها بأحسن تصوير:

عصافير أم صبية تمرح/ عليها سنا من غد يلمح/ وأقدامها العارية/ محار يصلصل في ساقية/ لأذيالهم رفة الشمال/ سرت عبر حقل من السنبل/ وهسهسة الخبز في يوم عيد/ وغمغمة الأم باسم الوليد/ تناغيه في يومه الاول

(نفسه: ٣١٤).

بتعبير آخر صور الشاعر نعيم أطفال زمانه وحياتهم المريرة، على شكل تعابير شبيهة بالتعابير القرآنية في سورة "ق" وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم، وإن لم تكن بتلك القدسية التي تحملها التعابير القرآنية، لكنها تتصف ببعض الجمال الموسيقائي في السورة القرآنية. وبعض هذه التعابير الشاعرية مثل:

- وأنَّ الشرابَ الذي يشربون؟ أجاج بطعم الدم (نفسه:٣٢٦).

- مصابيحُ ملءَ الدُّجى تلمح/ هتكنا بها مكمن الطاغية/ وظلماء أو جارة البالية/

علينا لها: إنها الباقية (نفسه: ٣٣١)، تذكّرنا بآيات مثل: آية ٥٣ من سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ وآية ١٢ من سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ. . .﴾.

كذلك بعض الفواصل القرآنية في هذين السورتين ولاسيما في سورة "فاطر"، تتلائم مع فواصل سورة "ق". كما أنّ عبارة "سلامٌ على" التي يستخدمها الشاعر ليحيّي بها شعوب العالم المظلومة، تشبه الأسلوب القرآني الذي يحيّي به الله سبحانه وتعالى الأنبياء والصالحين والمؤمنين، ويحيّيهم ويسلّم عليهم بالعبارة نفسها:

سلام علي عالم الأرحب وعلي المشرق منه أو مغرب/ علي الصين والحاصدين.../ علي تونس من لظاها الظلال.../سلام لفينيس والكرنفال (نفسه: ٣٢٨).

وكذلك يبعث الويل للظالمين والتجار ومسببي الفقر والجوع والقتل في إطار لفظ "ويل" ويقول:

له الويل... ماذا يريد؟/ لك الويل من تاجر أشأم/ ومن خائض في مسيل الدم/ ومن جاهل أن ما يشتريه لدرء الطوى والردى عن بنيه/ قبور يوارون فيها بنيه/ حديد عتيق، رصا...ص، حديد (نفسه: ٣١٨).

وتقطيع الكلام في المواضع المختلفة من أنشودة الشاعر، يدل على حبس أنفاس الشاعر بسبب الحزن والهَمّ، ومن شدة خوفه من أزمة الحرب والنهب والقتل في العالم المعاصر.

ويقسم الشاعر بالخبز والعافية وأرجل الأطفال الحافية، على شكل الموسيقى الحادة الشديدة، وكما هو في الأسلوب القرآني، بأنه لو لم تَدُس أرجلُ الحفاة جباهَ الطغاة، ولو لم نعفّر جباههم بالأرجل الحافية، ولو لم نجلِ الغزاة المغيرون، ولم نحوّل سلاحهم الحديدي إلى الهداية والسلام، ستلعننا الأجيال القادمة، ولا يذكروننا إلا بالسبِّ واللعن:

بأقدام أطفالنا العارية/ يمينا، وبالخبز و العافية:/ إذا لم نعفّر جباة الطغاة/ علي هذه الارجل الحافية/ وأن لم نذوّب رصاص الغزاة/ حروفا هي الأنجم الهادية/ وإن لم نضو القري الداجية/ ولم نخرس الفوهات الغضاب/ ونجل المغيرين عن آسية/ فلا ذكرتنا بغير السباب/ أو اللعن أجيالنا الآتيه (نفسه: ٣٢٧).

يعتقد السياب، أن العالم الغربي تزداد ثرواتهم يوماً بعد يوم في ظل إستعمار الشعوب المظلومة وإستثمارها، ويستخدم الغرب السلاح الأكثر تطوراً لقتل الأطفال. والشاعر يتحدث عن عاقبتين كما في السورتين؛ عاقبة الحرب والقتل والدمار الشامل، وعاقبة السلام والأمان، وهو ينتظر السلام والحرية لكل الشعوب المستعبدة، ويرجو ذلك اليوم الذي تُستخدم فيه كل الإمكانات الإنسانية في سبيل بناء عالم ملؤه السعادة والسلام، بدلاً من الحرب ورحاها الطاحنة:

فقد لاح فجر العبيد/ وأنا رفعناه لواء السلام /رصاص، رصاص،/حديد، حديد، عقيق.../ لكون جديد (نفسه).

الشاهد الثاني:

الشاهد الثاني لبدر شاكر السياب في هذا المجال، هو "أنشودة المطر" التي يذكّرنا الشاعر في جزء منها بالفواصل القرآنية لسورة "ق". وعلى الرغم من أن الصبغة الرومانسية تطغى على هذه الأنشودة ونشاهد الصبغة الواقعية في مواضع كثيرة منها، إلاّ أن الشاعر قد صور فيها حقوق شعبه الضائعة، والشاعر من البداية يفكّر في إعادة حق الحياة السعيدة المليئة بالهدوء والنعيم والسرور والأمن والسلام. وهو كالمجاهد في سبيل الحق، يحاول ويسعى لتأمين حق شعبه، ولاسيما حق الحرية والعدالة، ليجعل لقصة الظلم والفقر المرّة التي إبتلى بها وطنه العراق، نهاية حلوة.

وحيناً نرى المطر في أنشودته، على شكل ذلك الغيث الذي يعطي الحياةَ حياةً وبهجة وسروراً ليذكّنا بفرحة عالم طفولته. وتارة يصير رمزاً لغسل الظلم والفقر من وجوه الناس، ويتحول حيناً إلى مطرقة تنزل على رؤوس الطغاة والظالمين. فيجب أن يمطر المطر بوسعة الفقر والجوع والحب والمشاعر والمودة وإعادة عالم الطفولية، وبإتساع الموت وكل الأرواح التي ضُحّيت في سبيل الوطن، ليلتئم به جراح الشعب والوطن. وبتعبير آخر فإن "أنشودة المطر" هي المأساة المتناقضة من العراق الجائع.

وتصل هذه المأساة إلى ذروتها في شعر الشاعر، عندما ترتوي نخيل العراق من مياه المطر، وتكثر الحبوب في حقول العراق ومزارعه. لكنما عراق الشاعر لا يزال يموت جوعاً، "وسر هذا الجوع هو الجراد والغربان التي تتطاول على محاصيل الناس" (طهماسبي،

١٣٩٠ش: ٩١). كذلك يمكننا أن نرى أثر سورة "ق"، في المقطع التالي من "أنشودة المطر":

وأسمع الصدي / يرنّ في الخليج{الفارسى}/ مطر... مطر... مطر... / في كلّ قطرة من المطر / في كلّ قطرة من المطر / حمراء أو صفراء من أجنة الزهر / وكل دمعة من الجياع والعراة / وكل قطرة تراق من دم العبيد / فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد / أو حلمة توردت علي فم الوليد / في عالم الغد الفتي/ واهب الحياة (السياب، ١٩٨٧: ١٢٤)

الحان ألفاظ مثل: "العبيد وجديد والوليد"، تذكرنا بالفواصل الموسيقائية في سورة "ق". وفي الواقع هذا المقطع من الأنشودة، هو صورة يسعى وينتظر الشاعر فيها الإنبعاث الذي يعيد الحرية وحق الحياة إلى وطنه العراق. وحديث الشاعر عن العودة في الأنشودة، هو أسلوب قرآني يعتقد فيه أن العودة أمر محتوم، فيقول: "لابدّ أن تعود". "توفيت أم السياب ولا تعود إلى الدنيا أبداً؛ ولكن الوطن هو الأم الثانية للشاعر ومن حقّه العودة إلى الحرية الضائعة، فيسوق السياب مخاطبه ويهديه إلى الحرية التي هي حق كل إنسان (راجع رسولي نيا، آقاجاني، ١٣٩٢ش: ٥٩).

يؤكّد الشاعر في هذا المقطع أن كل دم أريق هو كإبتسامة في إنتظار جديد لعالم الغد، ((و"عالم الغد"، كما يعتقد المنتقدون، هو نوع من التفاؤل والإيمان بالقضاء على الظلم)) (ابوحاقة، ١٩٧٩: ٤١١). كما أن تعبير "عالم الغد" يؤكّد التناص القرآني، والحديث في هذه الأنشودة كما في النص القرآني، عن تقابل عالمين؛ الأول، العالم القديم الذي أصبح كهلاً بسبب الظلم السائد على الناس، العالم الذي يسود الليل والظلام فيه، ولم تهفت فيه صرخة الفئة المظلومة من عذاب الجوع المستمر. والعالم الثاني هو العالم الجديد اليافع الذي يراه السياب مليئاً بالحيوية والحرية، وهو الذي يرجوه لشعبه ويتمنّاه لهم، وللوصول إلى هذا العالم، يُفني العالم القديم ليرفع راية المساوات والحرية في العالم الجديد (رسولي‌نيا، أقاجاني، ١٣٩٢ش: ٦٩).

ومن ناحية أخرى يحذّر السياب وينذر في أنشودته كما هو في أسلوب النص القرآني، ويعتقد أن الظلم والإضطهاد يجب أن ينتهي لا في العراق وحسب، بل في العالم كله. ولهذا سيمطر مطر العذاب على الظالمين دائماً، ونرى في "ويهطل المطر" تعبيراً رائعاً لهذا الإنذار ويصوره بأجمل صورة: "ويهطلُ المطر/ وكلّ عامٍ - حين يُعشبُ الثرى- نجوع/ مرَّ عامٌ

والعراقُ ليسَ فيه جوع (السيّاب، ١٩٩٧: ١٢٧). وفي النهاية، هذه هي قصة الفقر والجوع المرة التي لا تفارق وطن الشاعر؛ لأن الشاعر يرى سيادة الإستعمار وسيطرته على ثروات بلده العراق.

٤-٢. نازك الملائكة

نازك الملائكة أيضاً هي من رواد الشعر الحر العراقي الذين تأثروا بموسيقى الفواصل القرآنية في سورة "ق" ومفاهيمها. وكانت نازك كلما أرادت أن تتحدث عن العودة والرجوع، وكلما أرادت تبيّن شدة حزنها وألمها على وطنها ومصائبه ومِحنه، وحينما تبحث عن السلام لوطنها، وعندما تريد أن تزيل الستار عن فقر وطنها ومظلوميته، إلتجأت إلى الموسيقى القرآنية، ولاسيما موسيقى سورة "ق".

وقد نرى أثر هذه السورة على قصائد مثل: "يوتوبيا" (نازك الملائكة، ١٩٩٧، ج١: ٤٥)، و"مرّ قطار" (نفسه: ٦٠)، و"الأفعوان" (نفسه: ٧٧)، و"في جبال الشمال" (نفسه: ١٢٦)، و"خرافات" (نفسه: ١٢٦)، و"جحود" (نفسه: ٩٠)، و"أنا" (نفسه: ١١٤)، و"أغنية الهاوية" (نفسه: ١٢١)، و"لنكن أصدقاء" (نفسه: ١٤٧)، و"زاد الفكر" (نفسه: ١٤٧)، و"رماد" (نفسه: ١٨٢)، و"الخيط المشدود في شجرة السرو" (نفسه: ١٨٧)، و"أول طريق" (نفسه: ٢٢٧)، و"دعوة إلى الأحلام" (نفسه: ٢٣٧)، و"أنشودة الرياح٢" (نفسه، ج٢: ٤١٢)، و"أنشودة الرياح ٥" (نفسه: ٤٤٦)، و"الحياة المحترقة" (نفسه: ٤٧٦)، و"الغروب" (نفسه: ٥٤١)، و"جزيرة الوحي" (نفسه: ٥٨٠)، و"وقع المطر" (نفسه: ٥٨٩)، و"إلى الشاعر كيتس" (نفسه: ٦٤٠).

الشاهد الأول، "لنكن أصدقاء":

تعكس نازك الملائكة في هذه القصيدة قصة الفقر والجوع والظلم والقتل والنهب في وطنها، وتدعو بخلوصٍ جميع الأطراف إلى السلام والصداقة والمحبة، وكأنها ترى المحبة والسلام بلسماً لجراح شعبها في هذه الأيام الحرجة التي ساد عليها الجوع والبرد والطغيان.

تستخدم نازك الموسيقى القرآنية في سورة "ق" لتصوّر أحداث عصرها المؤلمة، وصورت مأساة فقر شعبها البريء وجوعه في شكل أسطورة "هياواثا". وتتحدث في هذه القصيدة عن عالمين؛ "عالم الدمار والفناء" و"عالم الأخوة والسلام". وتحمل القصيدة في طيّاتها القوانين

والقيم التي تتكوّن منها أصول حقوق الإنسان و أسسها، مثل: الحرية وحق الحياة وحرية العبيد وحقوق الجياع. وفي الواقع هي صراع بين العالَمين. وكان تكرار عبارة "لنكن أصدقاء" وتأكيدها المكرر، بشكل هادف ومتناسباً مع شدة الأحداث والأزمات المدمرة في عصر الشاعرة. وهي كرّرت لفظ "نحن" مراراً لتتحدّث نيابةً عن كل المظلومين والمستضعفين والفقراء في العالم. كما أن عبارة "فلنكن أصدقاء"، هي نفسها تدل على الوحدة التي تروم إليها نازك للوصول إلى الأمن والسلام.

ستحسُّ الحياة / ويعود الجمود البليد / وخلفها الف عرق جديد.../ أصدقاءٌ بشر/ أصدقاء ينادون أين المفر؟/ ويصيحون في نبرة الذابلة / ويموتون في وحدة قاتلة/ أصدقاء جياعٌ، حفاةٌ، عراة./ لفظتهم شفاه الحياة / إنهم أشقياء/ فلنكن أصدقاء/ من بعيد/ صوت عصف الرياح الشديد / ناقلا الف صوت مديد/ من صراخ الضحايا وراء الحدود/ في بقاء الوجود (الديوان: ١٤٨).

استخدمت نازك الموسيقى القرآنية في سورتي "ق" و"القيامة"، وألفاظ مثل: "بليد وجديد ومن بعيد والشديد ومديد" على وزن "فعيل" و"وجود وقيود" على وزن "فعول" في شعرها، تثبت هذا الإقتباس القرآني وتدل عليه. كما أن عبارة "أين المفر"، تذكّرنا بسورة القيامة وهي متناسبة مع آية (هَل مِن مَحيص) (ق: ٣٦)، وكذلك تناغم حرفي "القاف والجيم" في القصيدة أيضاً متلائم مع تناغمهما في سورة "ق".

الشاهد الثاني: "الأفعوان":

"الأفعوان"، هي قصيدة نازك الملائكة الأخرى، ومن الشواهد البارزة في هذا المجال، حيث صورت فيها عظمة القدر والتقدير الرهيبة، والرعب والرهبة منها، على شكل الموسيقى القرآنية لسورة "ق". ونرى فيها التقدير على شكل الزمان، يلاحق الإنسان ويطارده كحيّة تسعى بحقد وغضب لاتكلّ ولا تتعب (ناظميان، ١٣٨٩ش: ٢١٧).

وتمرُّ تمرُّ الحياة/ وعدوِّي الخفي العنيد/في ليالي الأسي الحالكات/ خلف كل السحر/ وأراه يطل علي مع المنتظر/ مع أمسي البعيد/ مع ضوء القمر/ في الفضاء المديد/ أين أين المفر؟/ من عدوي العنيد/ هو مثل القدر/ سرمدي، خفي، أبيد/ سرمدي، أبيد (الديوان: ٧٧).

أستُخدمت عبارة "أين المفر" بالإقتباس من مضمون عبارة "هل من محيص" في آية ٣٦

من سورة "ق"، وإن كان اللفظ مأخوذاً من آية ١٠ في سورة "القيامة" وتعبّر به الشاعرة من أن لا مفرّ من القدر.

ساد على النص الشعري ظلال التسرّع والخوف والهروب والظلام، وهذا الخوف والتسرع كان أشد لمساً لنازك من حيثها إمرأة. وخوفها كان إلى حدٍّ حرمها من فرحة الحياة ونعيمها وسرق هذه الفرحة منها ولم يبق حتى للنهار بشرة. وهي تريد أن تقول أنّ القدر لا يبقي في العراق عيشاً ولا فرحاً ولا بهجة.

٦-٢. عبدالوهاب البياتي:

إستفاد عبد الوهاب البياتي وهو من رواد الشعر الحر العراقي في العصر المعاصر، استفاد من البنية الموسيقائية في سورة "ق" وفواصلها القرآنية، ونرى في أشعاره أثراً كبيراً لموسيقى الفواصل القرآنية في سورة "ق" ومضامينها. وكلما كان البياتي في حزن الغربة وغمرته همومها، وكان مغموماً من الإبتعاد عن وطنه وكان يرجو العودة إليه ويود ذلك، وكلما كان يرجو الإنبعاث المنجي والثورة المثمرة لشعبه المُعاني، وكلما كان يريد إسترجاع حقوق شعبه الضائعة، مثل حق الحرية وحق الحياة السليمة وحق تعيين المصير وإقامة العدالة الإجتماعية، ويريد تصوير الإستبداد والإستعمار السائد على وطنه، إلتجأ إلى الموسيقى القرآنية وألحان فواصل سورة "ق" وإستفاد منها.

ومن قصائده في هذا المجال: (قولي له) (البياتي، ١٩٩٥،ج ١: ٨٣)، (أحلام شاعر) (نفسه: ١٠٧)، و(نهاية) (نفسه: ١١٠)، و(أباريق مهمشة) (نفسه: ١١٣)، و(مسافر بلا حقائب) (نفسه: ١٢١)، و(ريح الجنوب) (نفسه: ١٢٩)، و(طريق الحرية) (نفسه: ١٤٥)، و(الرحيل الأول) (نفسه: ١٦٢)، و(مواعيد مع الربيع) (نفسه: ١٦٤)، و(في المنفي) (نفسه: ١٨١)، و(مذكرات رجل مجهول) (نفسه: ١٨٦)، و(مذكرات رجل مسلول، والشعر، والموت، والأمل) (نفسه ٢١٤)، و(أغنية إلى ولدي على) (نفسه: ٢٢٣)، و(البريد العائد) (نفسه: ٢٣٠)، و(أغنية الإنتصار إلى مراكش وتونس والجزائر) (نفسه: ٢٣٤)، و(بور سعيد) (نفسه: ٢٦٥)،(صليب الألم) (نفسه:٣٠٢)، و(العودة) (نفسه:٣٣٤)، و(الأقوال) (نفسه: ٣٥١)، و(مقبرة الغزاة) (نفسه: ٣٩٣)، و(إلى إرنست همنجواي) (نفسه: ٤١٧)، و(الأمثال) (نفسه:٤٢١)، و(تمّت اللعبة)(نفسه: ٤٤٦)، و(موت المتنبي:المرثية) (نفسه: ٤٨٤)،

و(إلى مالك حدا) (نفسه: ٤٩٠)، و(قصيدتان إلى ولدي علي) (نفسه/ ٢:٢٣)، و(سفر الفقر والثورة: مقطع ٦) (نفسه: ٤٨)، و(خيط النور) (نفسه: ٩١)، و(عيون الكلاب الميتة) (نفسه: ١٠١)، و(المرتزقة) (همان:١٠٩)، و(عن الموت والثورة) (نفسه:١٥٢)، و(شيء من الف ليلة) (همان:١٦٤)، و(عن الميلاد والموت) (نفسه: ١٧٦)، و(هيوط اورفيوس الي عالم السفلي) (نفسه:١٩١)، و(المعجزة) (نفسه:٢٠٠)، و(يوميات العشاق الفقراء) (نفسه: ٢٣٥)، و(من كتابات بعض المحكومين بالإعدام بعد سقوط كوفونة باريس) (نفسه:٢٥٦).

وإننا نرى أنّ الفواصل القرآنية في سورة "ق"، أثّرت بعض الأحيان في وزنيها "فعول" و"فعيل" على كل أنشودة الشاعر، وبعض الأحيان على جزءٍ منها، وبعض الأحيان يستخدمها الشاعر بزيادة حرف على هذه الفواصل، أو إنه يقتبس مضمونها بعض الأحيان ولاسيما في التعبير عن قضية الموت.

الشاهد الأول:

أنشودة "في المنفى" هي من شواهد البياتي البارزة في هذا المجال:

عبثا نحاول- أيها الموتي- الفرار/ من مخلب الوحش العنيد/ من وحشة المنفي البعيد/ الصخرة الصماء، للوادي، يدحرجها العبيد/ ((سيزيف)) يبعث من جديد، من جديد/ في الصورة المنفي الشريد/ ماذا تريد الورد؟/ الورد لا ينمو مع الدم الجديد (البياتي، ١٩٩٥: ١٨١).

تكرار ألفاظ مثل: ((عنيد، من جديد، البعيد، العبيد، الحديد، من جليد)) في هذه الأنشودة، يؤكّد تأثير الشاعر بموسيقى الفواصل القرآنية في سورة "ق" وبنيتها الموسيقائية.

يشير الشاعر في هذه القصيدة إلى مأساة وطنه والإنسان المعاصر، ويرى نفسه ومواطنيه في معاناة الدهر ومتاعبه أسطورةَ عذاب مثل "سيزيف". وكذلك يرى أن لا فائدة في محاولة الإنسان المحبوس في محبس الدهر للهروب من مخالب المعتدين، بينما كان هذا الإنسان بطل الميدان بالإمس.

ولفظ "الصخرة" في شعر الشاعر هو رمز الحكم الظالم الذي يروم الشاعر إلى إسقاطه بعون شعبه المعاني. ويرى الشاعر مجتمعه منفىً لا فرار منه، كما في التعبير القرآني في سورة "ق"، أن لا فرار للإنسان من الموت. وكأنما عالمه جهنم هم فيها خالدون.

الشاهد الثاني؛ ((**أمل**)):

الشاعر في هذه المقطوعة الشعرية من أنشودة "مذكرات رجل مسلول"، وعلى صعيد تصوير الدعوة إلى الحرية، يؤمن بأن الإنسان سوف ينتصر على القتل والخراب والآلام، ويعتقد أن الفكر هو الذي يتم به إعمار بلده:

إني لأومن في غد الانسان، في نهر الحياة/ إنسان عالمنا الجديد/ إني لأومن، أيها الموت العنيد/ بالفكر يعمر أرضنا الذهبية الخضراء، بالفكر الجديد. (نفسه: ٢١٤).

ويشير الشاعر إلى هذا التعبير في أنشودة " مذكرات رجل مجهول" في مقطع ١٩ تشرين الثاني، وبهذه الموسيقى والألحان، يتيح للإنسان والإنسانية المستقبل السعيد، ويتحدّث عن حق الحياة وحق تقرير المصير:

مولاي أمثالي من البسطاء لا يتمردون/ لأنهم لا يعلمون/ بأن أمثالي لهم حق الحياة وحق تقرير المصير/ ظمآن عبر مقابر الريف البعيد وكأن الإنسان الغد الآتي السعيد/ إنسان عالمنا الجديد/ من أجل إنسان الغد الآتي السعيد/ من أجلنا، مولاي تسيل أنهار الدماء/ في أطراف كوكبنا الحزين/ (نفسه: ١٨٦).

وتكرار ألفاظ: "الجديد والعنيد والبعيد والغد" في هذه الأنشودة يدل على هذا التأثير.

النتائج:

استخدم شعراء العراق المعاصرون، الموسيقى القرآنية في سورة "ق" تارة، و كذلك مضمون هذه السورة القرآنية تارة أخرى، لتصوير أزمات العراق والشعوب المضطهدة الأخرى، وفقر الشعب الإقتصادي والإختناق والإستبداد السائد، وعدم وجود الحرية والأمان، وحق الحياة والعدالة الإجتماعية، ولتصوير العواقب المدمّرة للحرب والقتل، ولتشجيع الناس على الحركة العلمية والتقدم العلمي، ولتصوير ظاهرة الإستعمار وإستثمار البلدان العربية، وفي النهاية تصوير إنتظارهم وأملهم بالحياة الجديدة، وبإنبعاث الشعب العراقي والشعوب والبلدان المضطهدة الأخرى في شرق العالم المعاصر وغربه.

تأثر شعراء العراق المعاصرون في أكثر المواضع بالموسيقى القرآنية في سورة "ق" بشكل هادف متعمِّد، وأثرت الفواصل الموسيقائية لهذه السورة على بنية القصيدة بأكملها في شعر

الشعراء الكلاسيكيين، بينما كان هذا التأثير على بعض أجزاء القصائد وبعض القوافي عند شعراء الشعر الحر، كما إستخدم السيّاب ونازك الملائكة بعض الفواصل الموسيقائية في سورة "الحاقّة" و"القارعة" إلى جانب سورة "ق" في القصيدة الواحدة.

المحن والويلات و المعاناة التي تصورها السورة نتيجةً لمحن الذين أدبروا عن الحق، تتناسب مع محن الأوضاع التي يعاصرها شعراء العراق المعاصرون، وربما يرى شعراء العراق محن شعبهم و معاناتهم في ابتعادهم عن الحق والعدالة.

عصر الحديد الذي يعبر عنه شعراء العراق في أشعارهم، يؤكد هذا التناص والإقتباس القرآني من حيث تناسبه مع "اليوم حديد" في سورة "ق" والذي هو من علامات يوم القيامة؛ لأن كلا النصين يتحدثان عن الوضع الراهن وعن شدة الأزمة ومشقّتها، وأن "اليوم حديد" بما تصوره السورة المباركة من رعب ورهبة للكافرين المبتعدين عن الحق، هو رمز السعادة والسلام بالنسبة للمتقين والسائرين على طريق الحق، وكذلك "عصر الحديد" في تعبير الشعراء، فهو تارة سبب الخوف والرعب والقتل كما كان في قصيدة "أسلحة الأطفال" للسيّاب، وتارة هو تقنية يتم بها الأمن والسلام والرفاه الإقتصادي.

كثرة إستخدام ألألفاظ مثل: ((بعيد، عبيد، جديد، حديد و شديد)) في أشعار شعراء العراق المعاصرين، وبمعانيها السلبية والإيجابية، ومتناسباً مع المفاهيم القرآنية لهذه الألفاظ، تصور الوضع الحرج والإضطرابات المعاصرة، ولاسيما في العراق من جهة، ومن ناحية أخرى فيها تباشير الحياة الجديدة لموطن هؤلاء الشعراء.

استخدام لفظ "الهاوية" في هذه المجموعة من أشعار شعراء العراق المعاصرين هو تأكيد آخر لهذا التأثير القرآني الهادف في شعر العراق المعاصر، كما أن هذا اللفظ يصور عمق مأساة الظلم والإضطهاد والإختناق والأوضاع السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية الحرجة في العصر الحاضر.

قائمة المصادر و المراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. أنيس، ابراهيم،(١٩٧٢)، موسيقى الشعر، المجد الاول، الطبعة الربعة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٢.امين، شيخ بكري (١٩٨٠) ((التعبير الفني في القرآن))،الطبعة الرابعة، بيروت: دار الشروق.

٣. ابو حاقه، احمد، (١٩٧٩)، ((الالتزام في الشعر العربي))، (ط١) بيروت: دار العلم للملايين.

٤. بياتي، عبدالوهاب(١٩٩٥)، الاعمال الشعرية الكامل ١و٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٥. بهاء الدين، جعفر و مراديان، علي اكبر(٢٠١١)، ((الإلتزام في شعر محمد مهدي الجواهري))، بيروت، انتشارات دار الكتاب العرب، بيروت.

٦. الجواهري، محمد مهدي(١٩٧٤) ((الديوان))، مطبعه الاديب البغدادية.

٧. الرصافي، معروف(٢٠١١) ديوان الرصافي))، مراجعه المصطفي الغلاييني، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٨. رسولي نيا، امير حسين. آقاجاني، مريم.(١٨٩٢) ((مبارزه و پايداري در شعر بدر شاكر سياب))، مجلة الادب المقاوم، السنة الرابعة، العدد٤ (٥١-٧٢).

٩. الزركشي، ابو عبدالله بدر الدين(١٩٨٠)، البرهان في العلوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مجلد الرابع، الطبعة الثالثة، دار الفكر.

١٠. الرازي، شمس الدين محمد بن قيس(١٣٧٣) المعجم في الاشعار معايير عجم، بإشراف الدكتور سيروس شميسا، تهران: مطبعة فردوسي.

١١. السياب، بدر شاكر (١٩٧٨) ديوان، بيروت، دار العودة.

١٢. طهماسبي، عدنان. زارع، ناصر.(١٣٩٠) ((**متناقض نما در نمادهاي شعر انشوده المطر**)) مجله الادب العربي، جامعة طهران، السنة الثالثة، عدد١(:١٧٧-١٩٧)

١٣. عزالدين، اسماعيل (٢٠١٣) الشعر العربي المعاصر قضايا و ظواهره الفنية والمعنوية، الطبعة: الثالثة، دار الفكر العربي.

١٤. قطب، سيد (بي تا)، التصوير الفني في القرآن الكريم، القاهرة: دار الشروق.

١٥. قطب، سيد.(٢٠٠٣)، في ظلال القرآن،(ط٣٢)، القاهرة: دار الشروق.

١٦. مراديان، علي أكبر. ميرزايي الحسيني، سيد محمود. نصري جنت.(١٣٩١)."تأثير موسيقايي فواصل قرآن بر ساختار قوافي جواهري"(١٣٩١). فصلية اللسان المبين، السنة الثالثة، العدد السابع،(٢٩٩-٢٦٥).

١٧. ناظميان، رضا (١٣٨٥) ((زمينه هاي درك نماد و رمز در شعر معاصر عرب))، مجله ادب پژوهي، السنة السابعة، العدد٢٩ (١٨٤- ١٠٢).